الفصل السابع عشر

مقاومـــة الفـــن

مصطفى عبده خير(*)

أولاً: مقدمة ضرورية لضرورة الفن

الجمال أصل في البناء الكوني، ولكننا لا نرى هذا الجمال ولا نحس به لأنه فينا ومن حولنا، فلا يحس البشر إلا بالمعاكس لهم في الطريق(١)، والمعاكس هو القبيح، فلا يحس البشر إلا بذلك القبيح. وما القبح إلا درجة من درجات الجمال متدنية لإظهار درجات الجمال، والفن احتجاج دائم نحو التنوير ضدّ إمارات القبح والهبوط المادي والمعنوي والانحرافات، وضدّ الاستخدامات البشعة للفن والجمال(٢). فكان لا بُدَّ من تحرير الفن من القيد الوثني، والأسر الكهنوتي، والقيود العقائدية، والقهر الديكتاتوري والقسر الأيديولوجي، فكان لا بُدَّ من استيقاظ النفوس لترى الجمال وتعمل بمقتضى هذا الجمال والترقي المتصاعد نحو الكمال من خلال الجمال والجلال.

أبدع بديع السموات والأرض الكون من خلال «كُنْ»، فكانت الكائنات ما بين الكاف والنون، وكونها تكون هو استجابة وهي استجابة (طاعة ووجود وتكوين)، وهذه الاستجابة هي أول تسبيحة، وهي مسبحة بوجودها وكُلّ شيء

(*) أستاذ مشارك، ورئيس لجنة الدراسات العليا في جامعة النيلين، قسم الفلسفة ـ السودان.

(١) انظر المقدمة، في: محمد قطب، **منهج الفن الإسلامي** (القاهرة: دار القلم، [د. ت.]).

(٢) مصطفى عبده خير، **مدخل إلى فلسفة الجمال: محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية**، دراسات فلسفية، ط ٢ (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩).

يسبح لله، وما من شيء إلا وهو مسبح، وهي تسبيحات تسخيرية لا لها ولا عليها، وهي مسيّرة في تسبيحاتها تسير على نظام قسري وقانون كوني وناموس كوني لنظام متسق بديع مبرمج[٣].

يقول تعالى:

﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾[٤].

وقوله: **﴿كلٍ قد علم صلاته وتسبيحه﴾**[٥].

وقوله: **﴿يسبح له ما في السموات والأرض﴾**[٦].

وقوله: **﴿ويسبح الرعد بحمده﴾**[٧].

وقوله: **﴿والنجم والشجر يسجدان﴾**[٨].

وقوله: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبلٍ لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله﴾**[٩].

أما الإنسان فقد خلقه الله بيديه وسوّاه وعدله ونفخ فيه من روحه، وحمّله الأمانة، وأودعه عقلاً إبداعياً، ونفوساً متطلعة لها مراتب سباعية، وروحاً سامية متعالية للاتصال بالملأ الأعلى، وجعله مستخلفاً في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع والعمل الصالح لوراثة الجنة، وأسجَد له الملائكة، وعلّمه الأسماء كلها، وأعطاه صفات من صفات الربوبية، وجعله كائناً جمالياً مبدعاً، وكائناً حراً مريداً، وكائناً خاشعاً نقياً ومبدعاً تقياً، وكائناً عقلانياً، وكائناً أخلاقياً، وكائناً عابداً، ووضع له منهجاً يسير عليه ليتناسق مع الكون المسيّر المتسق من خلال اتباع في العبادات، وإبداع في المعاملات من خلال إبداعاته الرائعة.

كان الفن وكان معه الإنسان يعلو ويهبط معه وبه، وقد تلازم الفن مع الإنسان

---

(٣) انظر مقالة مصطفى عبده خير، «الإنسان: ذلك الكائن الجمالي».

(٤) **القرآن الكريم**، «سورة الإسراء،» الآية ٤٤.

(٥) المصدر نفسه، «سورة النور،» الآية ٤١.

(٦) المصدر نفسه، «سورة الحشر،» الآية ٢٤.

(٧) المصدر نفسه، «سورة الرعد،» الآية ١٣.

(٨) المصدر نفسه، «سورة الرحمن،» الآية ٦.

(٩) المصدر نفسه، «سورة الحشر،» الآية ٢١.

وتلازم الدين مع الإنسان منذُ أن كان. ولتلازمهما مع الإنسان كان لا بُدَّ لهما أن يتلازما وقد تلازما، حيثُ أخذ الفن مواضيعه من الدين، وأخذ الدين قوته بالفن، على حسب قوة الاعتقاد وضعفه في النفس البشرية، وعند انحراف العقائد كانت الفنون هي الأدوات التي استخدمت في تأكيد هذه الانحرافات، فكان استخداماً (بشعاً) للفن لمحاولة الكهنة السيطرة على الشعوب وإخضاعها، فكانت الفنون من تشكيل وعمارة وموسيقى ودراما ورقص وألوان وأشكال، هي الوسائل المستخدمة في الانحرافات العقائدية وما تبعها من انحرافات سلوكية، حتّى تسهل السيطرة الكهنوتية على الشعوب المغلوبة على أمرها. وهكذا كان الفن قبل الإسلام إحدى الأدوات القبيحة والبشعة للسيطرة على الشعوب وإلهائها، وكذلك في العصور الوسطى.

ويستخدم الفن الآن في العصور الحديثة والمعاصرة لإلهاء الشعوب عن مهامها الإنسانية باستخدام الفنون كوسيلة انحرافية للفسوق والفجور والخلاعة والانحراف السلوكي، حتّى تتم السيطرة على الشعوب بتدمير الفن وتدمير القيم الإنسانية، لتدمير الإنسان نفسه.

ولكن الفن على عكس ذلك، فالفن وسيلة لخلق الجمال والمحبة والترقي والسمو، وتأكيد إنسانية الإنسان لتعمير الأرض وليس لتدميرها، وخلق إنسان أخلاقي متجمل يعيش في المستويات العليا الرفيعة.

الفن أداة لمقاومة التدني والهبوط والسقوط إلى القاع، واستيقاظ النفوس لترى الجمال وتعمل بمقتضاه، من خلال الحقّ والخير والجمال والاستعلاء والاعتدال والعمل في (الوسط) المتعالي من بين طرفي الإفراط والتفريط.

الفن أصدق أنباء التاريخ، فكم من حقائق تاريخية انزوت في ظلمات التاريخ، وكان الفن هو الكاشف عن تلك الحقائق الخفية، لأن الفن هو تعبير الشعوب عن نفسها بنفسها لنفسها[١٠].

والفن رسالة إنسانية ووسيلة بشرية بارعة للإفصاح عن حالة الوعي الإنساني بتقديم الحلّ الرائع للإيقاعات الجمالية بتحقيق الروعة الإبداعية[١١].

والفنان إنسان مختار مصطفى، اصطفاه الله واختاره ليقوم بمهام إبداعية (تعبدية

---

(١٠) انظر المقدمة، في: مصطفى عبده خير، **دور العقل في الإبداع الفني** (الخرطوم: جامعة النيلين، ١٩٩٧).

(١١) المصدر نفسه.

وحياتية) للإبداع الفني والفكري والعلمي والعملي، ليعمر الأرض بالإبداع والعمل الصالح ليتناسق مع الكون المتسق ومع نفسه، ومع الكائنات ليرى الجمال ويعمل بمقتضى الجمال بوعي أخلاقي متجمل.

يسير الإنسان عبر معابر إبداعية ثلاثة:

ـ باعتقاد خاشع يصل حدّ التقوى الجلالية (**رهبة جلالية**)، من خلال عقل يستقرئ الحقّ، أي بحقٍ يُعقل من خلال عقل ظاهري درّاك، وذلك لأن الإنسان كائن خاشع يعتقد، ذو عقل منطقي بارع، منطقي في تفكيره بمسلك خاشع، لحق معبود في (اتزان الحقّ).

ـ واختيار حُر ملتزم بحدود الحرية حرية إنسانية، يصل إلى حدّ الاستقامة الخلقية (**رهبة أخلاقية**)، من خلال إرادة تستقطب الخير، أي بخيرٍ يُراد من خلال عقل باطن واعٍ يحوي الوعي كُلّه، وذلك لأن الإنسان كائن أخلاقي ذو إرادة خيّرة يمتلك عقلاً واعياً بسلوك خيّر لعبادة خيّرة (بانسجام الخير).

ـ وإبداع رائع يصل حدّ الروعة الجمالية (**رهبة جمالية**) من خلال حس يستقطر ويستشعر بالجمال، أي بجمالٍ يحس به من خلال عقل إبداعي رائع، وذلك لأن الإنسان كائن جمالي ذو إبداعات رائعة بعلاقات جمالية للإيقاعات الجمالية (بإيقاع جمالي)[١٢].

وهكذا يكون الإنسان المبدع هو الكائن (البارع الواعي الرائع)، من خلال عقل إبداعي وأخلاق إبداعية وحرية مسؤولة، فالعمل الفني لا يتأتى إلا من خلال هذه الدروب السامية ليحقق الإنسان إنسانيته واستخلافه في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع بالتعبير الجمالي والتلقي الناقد، فيكون الإبداع الجمالي هو عمل فني يقوم به فنان (بارع ـ رائع ـ واعٍ) سام متعالٍ يعمل لاستيقاظ النفوس لترى الجمال، ويعمل في الوقت نفسه لإيقاظ الإحساس بالقيم الإنسانية العُليا في الحقّ والخير والجمال، فيستقيم الإنسان (الفنان والمتلقي)، فتستقيم الحياة باستقامته فيكون إنساناً مبدعاً تقياً، وخاشعاً نقياً، وحُراً وفياً.

والإنسان له حياة سرمدية (أزلية وأبدية)، كان قبل أن يكون في الحياة الدنيوية، وهو كائن أيضاً بعد انتقاله من الحياة الدنيوية في انتقاله من الحياة الأزلية إلى الحياة الأبدية عبر مراحل سباعية متتالية ومتوالية ومتعالية:

---

(١٢) مصطفى عبده خير، «الإيقاع السباعي،» **مجلة التقويم** (غزة)، ج ١.

١ ـ وجد الإنسان مع الإبداع الإلهي من خلال قول الحقّ «**كُنْ**» فكانت الكائنات وكان الإنسان مع الكائنات في عالم الذر، وعندما قال المبدع: ألست بربكم؟ قالت: بلى. وهو **الوجود الأول** الذري.

٢ ـ ثُمّ كان **الوجود الثاني** بالخلق الإلهي حيثُ خُلق من الأرض وليس في الأرض، لقوله تعالى: ﴿**منها خلقناكم**﴾[١٣]، وليس فيها خلقناكم، خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه وعلمه فكان الخلق بعد الإبداع.

٣ ـ أما **الوجود الثالث** فكان في الجنة (آدم وحواء وإبليس)، حيثُ كانت الغواية الأولى فكان العصيان، وخطأ آدم في (لا تفعل). أما خطيئة إبليس فكانت في (أفعل) فطرد من رحمة الله، وكان المصير النزول إلى الأرض للوجود الرابع على الأرض.

٤ ـ و**الوجود الرابع** للإنسان في الحياة الدنيوية للحياة موقتة من الميلاد وحتى الممات لحياة اختيارية اختبارية، وهي أهم مراحل الحياة الإنسانية وفيها يحدد الإنسان مصيره الأبدي من خلال اتباعه للمنهج الإلهي حتّى يتسق مع الكون المتسق المسيّر ليسير الإنسان مع الزمان وتغيراته والمكان وتجدده، والإنسان في مكان داخل زمان، في الحياة الوسطية للمرحلة الرابعة المتألقة من الإيقاع السباعي للوجود الإنساني.

٥ ـ أما **الوجود الخامس**، فيكون بعد الموت والانتقال من الحياة الدنيوية الموقتة إلى الحياة البرزخية الموقوتة، حيثُ يبقى فيها بعد الموت وحتى البعث والنشور ليوم الحساب.

٦ ـ و**الوجود السادس**، هو البعث والنشور، ويوم توزن الأعمال حيثُ يبقى الإنسان في ذلك اليوم بمقدار أفعاله وأعماله التي عملها في الحياة الدنيوية ليذهب إلى حياته الأبدية، إما جنة أو ناراً خالداً مخلداً فيهما.

٧ ـ أما **الوجود السابع** والأخير، فهو الوجود الأبدي، إما في جنة خالداً مخلداً فيها لجنان لها سبع درجات، أو وجوداً بالتلاشي المستمر في النار بالحرق المستمر في نيران لها سبعة دركات حيثُ لا يموت فيها ولا يحيى[١٤].

هذه هي الحياة السباعية لذلك الإنسان، وهي الحياة الرابعة من الحياة السباعية، وهي أهم المراحل الحياتية وفيها تتحدد حياته الأخروية بما فعله في دنياه من خيرٍ أو شرّ.

---

(١٣) **القرآن الكريم**، «سورة طه،» الآية ٥٥.

(١٤) خير، «الإنسان: ذلك الكائن الجمالي».

أ ـ الحياة السباعية الممتدة

(١)
١ ـ الوجود الذري: (الإبداع الإلهي من لا شيء)
٢ ـ الوجود بالخلق: (خلق من لا شيء)
٣ ـ الوجود في الجنة: (آدم ـ حواء ـ إبليس)

(٢) ٤ ـ الحياة الأرضية من الميلاد حتّى الممات: (حيثُ يعمل الإنسان ويتألق)

(٣)
٥ ـ الحياة البرزخية.
٦ ـ البعث والنشور والحساب.
٧ ـ الحياة الأخروية الخالدة: (في الجنان أو في النيران)

ب ـ الحياة الأرضية تتلخص بالشكل رقم (١٧-١)

الشكل رقم (١٧ ـ١)
مراحل الحياة الأرضية (أزلية وأبدية) للإنسان

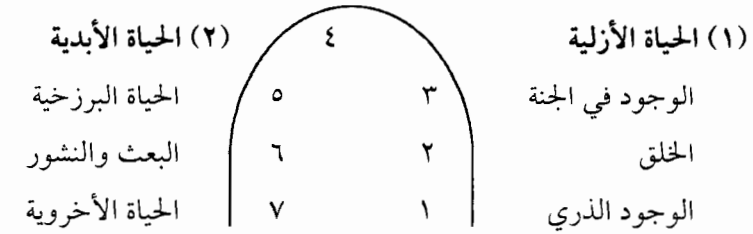

ج ـ الحياة السرمدية

الأحوال الثلاثية للوجود الإنساني على سبع مراحل، وأهمها المرحلة الرابعة المتألقة، أي الحياة الأرضية الدنيوية، وفيها تتحدد حياته الأخروية الأبدية، فهو مستخلف فيها وسخرت له الأشياء ليعمر الأرض بالإبداع، وعلى ما يفعله في الحياة الدنيوية تكون حياته الأبدية.

ثانياً: الضبط الكوني المتناسق بالضبط الجمالي (الدائرة الجمالية)

تناسق الإيقاعات الكونية مع القراءات المتعددة والمعابر الثلاثة:

الكون يدور على ساعة منضبطة على أجزاء من الثانية بل الثالثة وهي الومضات الذرية، فكُلّ الكائنات من الذرة إلى المجرة لها دوراتها وحركاتها المحسوبة، وكُلّ

الأنفس لها أنفاسها المعدودة لأماكن معدودة، فالكون كُلّه منضبط على نبضات محسوبة ومعدودة داخل الدائرة الكربونية على مسافات الومضات الكونية من خلال سرعاتها الضوئية، وهي سابحة ومسبحة بإيقاعاتها الخاصة مستمدة أنشودتها من الأنشودة الكونية العلوية الخالدة.

كُلّ الكائنات مسيرة ومسخرة في مسيرتها من خلال الناموس الكوني ولا تستطيع أن تتخرج عن مسيرتها. للكون حركتان: حركة كونية مسيّرة، وحركة ذاتية داخل التسيير العام، وللإنسان بعض من هذا التسيير الاختياري لأنه الكائن الوحيد الذي أُعطي الاختيار ولكنه محكوم داخل تسيير محكم، بحركات متوافقة معها ومتسقة بها ومنضبطة لها.

للأجرام السماوية مجراتها وأفلاكها المسيّرة، وللذرات دوراتها المحسوبة، فإن اختلت موازينها انفجرت، فما بالنا ونحن بين الذرة والمجرة، حتّى إنَّ عود الثقاب الذي يشتعل له حساباته الكربونية والكونية، فكُلّ نبات ينبت أو يضمحل له حساباته العددية في اتساق مع كُلّ نفس تتنفس في تبادل حسابي بين كُلّ نتح وتنفس.

كُلّ هذه العمليات الحسابية لها موازينها الذرية، حتّى الذرة لها جزيئات أصغر منها وهي عبارة عن أكوان مصغرة، يجري في الذرة ما يجري في المجرة اتساق مع الكون الفسيح المتسع الذي يتسارع في اتساعاته[١٥].

للإيقاعات الكونية ثلاثة إيقاعات متناسقة:

- الإيقاع الزماني وعطاءاته المتغيرة المتتالية ـ سيال ديمومي.
- والإيقاع المكاني وعبقرياته المتجددة المتوالية ـ تفجر متنامٍ.
- والإيقاع الإنساني وإبداعاته المتبدلة المتعالية ـ إبداع متناغم.

والإنسان في مكان داخل زمان (أنسزمكان)، فهو يتحرك بالتتالي والتوالي والتعالي، لتتوافق إبداعاته مع عطاء الزمان المتغير وعبقرية المكان المتجدد ليتسق مع نفسه ومع الكائنات ومع الكون المتسق، فلا بُدَّ من اتساق لهذه الإيقاعات الثلاثية مع القراءات الثلاث: قراءة الوحي، وقراءة الكون، وقراءة النفس، من خلال إيقاعات سباعية.

١ ـ قراءة (الوحي) كتاب الله المقروء (القرآن) ووحداته القرائية والبنائية الحرف، وقد تنزل القرآن على سبعة أحرف، وللقرآن عطاءاته المتجددة من خلال معارف الوحي،

(١٥) انظر مقالة مصطفى عبده خير، «كارثة النيل السد العالي».

وهو عالم الروح وعالم القيم وعالم المعرفة، وقد تنزلت آية بالقراءة في قوله تعالى: ﴿**اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم**﴾[١٦].

٢ ـ قراءة (الكون) كتاب الله المنظور (الوجود) ووحداته القرائية والبنائية في الذرة وللذرة نواة تدور حولها إلكترونات لها دورات سباعية، أي عالم المادة والوجود، يدرك من خلال مدارك العقل وتطلعاته، يقول تعالى: ﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبين لهم أنه الحقّ**﴾[١٧].

٣ ـ قراءة (النفس) كتاب الله المحفوظ، أي الإنسان ووحداته القرائية والبنائية في الخلية (DNA)، وتدور حول نواتها سبعة بحور سيتوبلازمية، وهو عالم الفكر والمعرفة من خلال مراتب النفس السباعية، يقول تعالى: ﴿**وكُلّ إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً. اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً**﴾[١٨].

ومن خلال هذه القراءات الثلاثية يتسق الإنسان مع الإيقاعات الكونية الثلاثة (الزمان ـ والمكان ـ والإنسان) ليتسق مع المعابر الثلاثة الإبداعية في (الاعتقاد ـ والاختيار ـ والإبداع) لاعتقاد خاشع، واختيار حُر ملتزم، وإبداع رائع، حتّى يكون الإنسان خاشعاً نقياً ومبدعاً تقياً وحُراً وفياً.

وهذه الثلاثيات تتداخل بالقيم الثلاث (الحقّ والخير والجمال):

ـ قراءة (الوحي)، كتاب الله المقروء، من خلال الإيقاع القرآني المتسق مع الإيقاعات الزمانية وعطاءاتها المتغيرة المتتالية، بعقل يستقرئ (الحقّ) لاعتقاد خاشع من خلال تقوى جلالية.

ـ قراءة (الكون)، كتاب الله المنظور، من خلال إيقاع الوجود المتناسق مع الإيقاعات المكانية وعبقرياتها المتجددة المتوالية، بإرادة تستقطب (الخير) لحرية ملتزمة من خلال استقامة خلقية.

ـ قراءة (النفس)، كتاب الله المحفوظ، من خلال الإيقاعات النفسية المتناغمة مع الإيقاع الإنساني وإبداعاته المتبدلة المتعالية، بحس يستقطر (الجمال) لإبداع رائع من خلال روعة إبداعية[١٩].

---

(١٦) **القرآن الكريم**، «سورة العلق،» الآيات ١ ـ ٣.

(١٧) المصدر نفسه، «سورة فصلت،» الآية ٥٣.

(١٨) المصدر نفسه، «سورة الإسراء،» الآيتان ١٣ ـ ١٤.

(١٩) مصطفى عبده خير، «ثالوث الفن المتصاعد،» ورقة قدمت إلى: مؤتمر حنتوب.

وهكذا نصل إلى أن الكون متسق وجميل متناغم، وقد خلق الله الإنسان كائناً مبدعاً وكائناً جمالياً ليبدع ويجمل العالم ويتصاعد ويسمو ويتعالى، لبناء حضارة جمالية متناغمة وهي مهمة الإنسان في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع الرائع وليس لتدميره، والذي يخالف السنن الكونية في التدمير بدل التعمير، وهو يدمر نفسه أولاً في محاولته تدمير الآخرين بردود الأفعال.

وهكذا نجد أن للفن دوره الرائد في هذا البناء الحضاري المادي والمعنوي، فكان لا بُدَّ من الاستخدام الأمثل للفن للبناء الحضاري وليس الاستخدام البشع للفن.

هذا وقد استخدم الكهنة قديماً الفن في خدمة الانحرافات العقائدية، وما تبع ذلك من انحرافات أخلاقية واقتصادية وسياسية حتّى تستكمل السيطرة على الشعوب المقهورة، فكان الفن إحدى أدوات القهر والسيطرة والكبت والقيود التي كبلت العقول والنفوس.

وكذلك يستخدم الفن الحديث والمعاصر في إلهاء الشعوب والكذب عليهم، باستخدام الفن في الفسوق والفجور والانحراف، لتربية الإنسان الخاوي الغارق في شهواته، وهو خانع وخاضع لمن بيدهم تلك اللعبة والأيادي الخفية التي تتحكم في العالم في استخدام الفن لتدمير كُلّ جميل وتدمير القيم الإنسانية لتدمير الإنسان، حتّى يسهل استغلاله وقيادته بالصعود نحو الهاوية.

إذاً مهمة الفن خطيرة في تربية الإنسان القيمي التربية الجمالية السامية والصاعدة للمستويات العليا الرفيعة، بعيداً عن الرزايا والخطايا والدنايا.

والضابط الجمالي هو الضابط بين الحتمية الكونية والحرية الإنسانية، فالكون يسير على نظام منضبط بنظام حتمي، أما الإنسان فقانونه الحرية وهو مجبر على الحرية ولكنه داخل الجبر الكوني فهو في مكان داخل زمان، والقانون الذي يربط بين الجبرية والحرية هو القانون الجمالي.

يبرز سؤال منطقي عن كيفية الصلة بين الحتمية الكونية والحرية الإنسانية؟ والإجابة تأتي بأن الضابط الجمالي هو الذي يربط بين الحتمية والحرية، وهي قيود الجمال التي يجب الإنسان أن يتقيد بها مختاراً.

وهناك قيود متتالية ودوائر متعالية، أضيق هذه القيود هي قيود القانون. تلك القيود التي تقيد الإنسان في الظاهر فقط.

أما القيود الدينيّة أو بالأحرى الحدود الدينيّة، فهي أوسع من الدائرة القانونية، لأنها تقيد وتحد الإنسان في الظاهر والباطن للذين يتدينون بذلك الدين.

ولهذا فإن الدائرة الأخلاقية أوسع من الدائرة الدينيّة، لأنها تشمل الإنسانية كلها فهو قانون فطري في الفطرة الإنسانية.

أما الدائرة الجمالية، فهي أوسع هذه الدوائر لأنها تشمل الكائنات كلها وقد خلقت هذه الكائنات على نظام جمالي، فالكون كُلّه مبني على الجمال، والجمال أصل في البناء الكوني[٢٠].

إذاً الضابط الجمالي هو القانون الداخلي والباطني الذي يربط بين الكائنات وبين الحتمية الكونية والحرية الإنسانية. الدوائر الرابطة هي:

١ ـ دائرة القانون، أضيق الدوائر ضابطة للظاهر فقط.

٢ ـ دائرة الدين، ضابط للظاهر والباطن لمن يتدين بذلك الدين.

٣ ـ دائرة الأخلاق، ضابط للإنسانية كلها.

٤ ـ الدائرة الجمالية، أوسع الدوائر الشاملة للكائنات في جمالياتها واتساقاتها.

الشكل رقم (١٧-٢)

الدوائر الرابطة بين الكائنات وبين الحتمية الكونية والحرية الإنسانية

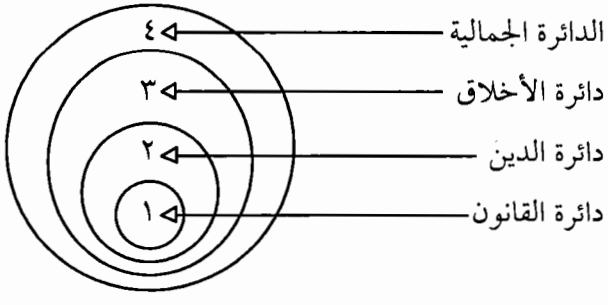

وتلي هذه الدوائر الأربع ثلاث دوائر لتكون سبع دوائر:

٥ ـ القانون الطبيعي، شامل للكائنات في جمالياتها واختلالاتها (الناموس الكوني).

٦ ـ القانون الإلهي، الميزان الاعتدالي وهو عدل لا ظلم فيه.

٧ ـ الرحمة الإلهية، حيثُ وسعت رحمته كُلّ شيء، إذ تسبق رحمته عدله.

وهكذا فإن للجمال دوره الفعّال في الضبط الكوني المتسق ليتسق الإنسان جمالياً

---

(٢٠) انظر المقدمة، في: مصطفى عبده خير، **مدخل إلى فلسفة الأخلاق** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩).

فيتسق مع نفسه ومع الكائنات، ليحقق حقّ الاستخلاف في الأرض ليعمر الأرض بالإبداع الرائع ويعمل بمقتضى الجمال لتحقيق إنسانية الإنسان.

ثالثاً: الجمال عبر العصور[٢١]

● الجمال موجود فينا ومن حولنا، فأحس الإنسان بذلك الجمال وانفعل به وتفاعل معه، وعمل بمقتضى الجمال، فأنتج الجمال قبل أن يفلسف معانيه، ثُمّ عرضه للبحث فيها بالنظر العقلي ومناهجه، فكانت «فلسفة الجمال» (Philosophy of Beauty)، واصطنع المناهج التجريبية في دراسة الجمال فكان «علم الجمال» (Aesthetics) الاستاطيقا. إذاً علم الجمال قديم ومحدث في آن واحد، فهو قديم كأفكار جمالية ولكنه محدث كعلم.

تدلّ الآثار الفنية والأدوات المختلفة التي خلفها وأبدعها الإنسان، إنسان ما قبل التاريخ على وجود ذوق فني، وحس بديعي، ومهارة يدوية، ومفهوم جمالي تدلّ على مدى تحضره.

فإن أبدع ذلك الإنسان لغايات عملية وأهداف نفعية وتطبيقات لاعتقادات سحرية، فإن هدفه أيضاً تصوير فكرة أو تخليد رؤية، أو تجسيد خيال أو تعبير عن أمنية، تثير قدراً من التناسق، نتيجة لجهد إداري مرتبط بالسياق التقني للعمل الإيقاعي، فالخلق يعتمد على التعديل والتشكيل المستمر الذي يحققه الفكر الابتكاري، فإتقانه للأدوات المستعملة من شأنه أن يجعلها جميلة، لأن في الإتقان جمال، وفي الجمال جلال، وفي الجلال كمال، ينحو نحو الكمال من خلال الجمال ولكنه لن يصل إلى الكمال، ومع علمه بذلك فهو ينحو نحوه، وبهذا يترقى ويتسامى في أعماله الإبداعية للإبداع الرائع، اقتبسه من نفسه ومن حوله ومن الكون المتسق، فعبر عنه في آثاره الفنية الجمالية الرائعة.

● وكان الفن رمزاً ولكل رمز قصة تعبر عن ضرورة، وعن استجابة لحاجة وتلبية لنداء القوة والإلحاح، فكان الفن إحدى الوقائع المميزة للوجود الإنساني ولرمز الحياة، فكان فن الإنسان الأول فن الحياة، حيثُ عبر عن رهبة ودهشة وخوف للتعبير عن إشعاعات ما ورائية وطاقات روحية تعبيراً عن وظيفة اجتماعية، فلم يكن (الشامان) ـ وهو فنان ما قبل التاريخ ـ إنسان الكهوف. لم يكن دجالاً ليبتز الأموال حيثُ لا مال ولا متاع، ولم يكن نصاباً فكُلّ شيء فيه مشاع، بل كان أبرز ما فيه إنَّه

(٢١) انظر: خير، **مدخل إلى فلسفة الجمال: محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية**، ص ٢١ ـ ٥٧.

(فنان مبدع) أبدع إبداعاته الأولى، ومنها كانت الانطلاقة الأولى لبناء الحضارة الإنسانية، حيثُ كان الفن منذُ كان الإنسان يعلو ويهبط معه وبه. وإن كُلّ أثر من آثار عصور ما قبل التاريخ يعدّ بمثابة نصّ جمالي ووثيقة فنية جديرة بالدراسة والتأمل والتحليل.

● بدأت الحضارة الإنسانية في أفريقيا وبخاصة على ضفاف نهر النيل، وقد انفعل إنسان وادي النيل بالنيل كُلّما تأمل جريانه، فتخيل الأزلية والأبدية، وانفعل بشروق الشمس وغروبها المتعاقب، فتولدت لديه تصورات شكلت نواة عقيدته التي أصبحت عماد الحياة ومحور الأدب وموضوع الفن، فتوصلوا إلى فكرة (الخلود) وفلسفة الحياة والموت وتخيل الحياة بعد الممات، فجاشت النفس بملامسة الطبيعة، فتكلم الحجر الأصم بتماثيل ومعابد تميزت بطابع الجلال، معبرة عن الخلود والأبدية وتحدي توالي الأزمان، فتكونت الحضارة المصرية الشامخة على مرّ الدهور من خلال ما أنتجوه من فنون تصارع الزمن.

وقد استمد الفنان المصري القديم فنه من عقيدته، واستمد حكمته من فنه، فلمس الوجود لمسة الروحاني الفنان، فأقدم على تحقيق أضخم المشاريع المعمارية والتماثيل الغرانيتية والرسوم الجدارية الوثائقية.

وعُدّ أخناتون أول مجدد للفن، فكان الفن حباً جديداً للحقيقة الواعية وحساسية ورهافة شعور، فحاول الفنان تصوير الحياة الروحية الباطنية حاوية للمعاني الجمالية المرهفة، وكان الفن المصري القديم نشأ ليحفظ الحياة بعد الممات تأكيداً لخلود الروح والجسد، ما جعله يتميز بكونه فن الحياة ما بعد الممات، فأبدع آثاراً خالدة تعدّ نشيد الحياة الخالدة.

● وتدل الآثار الفنية والثقافية المكتشفة في بلاد ما بين الرافدين على ما وصلت إليه هذه الحضارة في عالم الإبداع، تدلّ على روح الإبداع وحب الابتكار ورغبة في رؤية الجمال في كُلّ مكان أو ما يحيط به، وصلة هذه الإبداعات بالفكر التأملي وسعة الخيال في البحث عن الحقيقة والجمال.

● وكان لمفهوم الجمال في شبه القارة الهندية صلة بالمفاهيم الروحانية مثل فكرة وحدة الوجود وتناسخ الأرواح والنعيم الأبدي الذي يذوب فيه الفرد ويفنى في «النيرفانا» (Nirvana). وقد استطاع الفنان الهندي نقل الرمز إلى واقع جمالي، حيثُ أظهر الجمال في صور الآلهة لإثارة العواطف السامية في نفسية المتعبد والمشاهد والمتلقي لتفنى في المطلق «النيرفانا»، فكان للفن أهمية كبرى للتأمل الجمالي الذي يؤدي إلى الاتصال بالجمال المطلق.

● وتظهر الجماليات الصينية عبر عصورها المتتابعة، حيثُ يلاحظ اتصال الإنسان الصيني بحضارته وارتباطه بالطبيعة، فانعكس ذلك في إنتاجهم الفني لتحقيق مفهوم الانسجام، فأسهموا في نشر الفضيلة وجمالياتها، وقد تميّز الفن الياباني كذلك في رسم سحر الطبيعة وروحانياتها.

● إن كان قدماء المصريين قد عبّروا بفنهم عن فكرة (الخلود)؛ وعبّر البابليون والآشوريون عن (القوة)؛ وعبّر الهنود عن (وحدة الوجود)؛ وعبّر الصينيون واليابانيون عن (جمال الطبيعة)؛ فإن الإغريق عبّروا عن (الجمال الإنساني).

● كانت المعجزة اليونانية في القرن الخامس قبل الميلاد، ميلاد (الفن والفلسفة والجمال) بأصوله الإبداعية، حيثُ عبّروا في بحوثهم النظرية وإبداعاتهم التطبيقية عن الانسجام والتناسب والحركة، فكانت (فينوس) ربة الحب والجمال نموذجاً للمرأة؛ و(أبوللو) نموذجاً للرجل ربّ الحكمة والموسيقى.

وهكذا ترك اليونان تراثاً ضخماً من الإنتاج الفني، فكانت بداية للتفكير الجمالي والإشباع الجمالي لما كانت تتوق إليه النفس البشرية من مثاليات في الذوق وتطلعات تأملية، فكان هذا العصر هو الأول للفكر الجمالي وما أعقبه من فلسفات جمالية.

● وعليه يمكن لنا تقسيم العصور الفلسفية الجمالية إلى ثلاثة عصور:

١ ـ العصر الاعتقادي ـ العصر اليوناني (الكلاسيكي).

٢ ـ العصر الانتقادي ـ الفلسفة الانتقادية الكانطية.

٣ ـ العصر الحديث والمعاصر ـ الاستاطيقا المعاصرة.

أ ـ العصر الاعتقادي اليوناني، تغنى (هوميروس) بجمال الطبيعة، وكانت الطبيعة ينبوع الجمال عنده، كما كان جمال المرأة ينبوع الجمال عند (هزيود)، ويحتل الجمال الأخلاقي مكانه إلى جانب الجمال الجسماني، ما يؤكّد السمو في مفهوم الجمال الروحي.

وقد ابتدع (فيثاغورس) النغم والعدد، فالنسبة قائمة بين الأعداد وأجزاء الموجودات الجميلة على حسب تناسقها وتدرجها، فيكون المعيار الجمالي هو معيار رياضي بتناسق الأجزاء، وهي جمالية مثالية تقوم على العقل.

أما (هيراقليطس) هو أول من قال بالنسبية في الجمال، وقد تحدث عن الحركة والتغير، وعن وجود الأضداد، والمضمون الجمالي يكون أكثر روعة عندما تكون الأضداد مخيفة يظهر في اكتشاف المجهول.

أما (سقراط) فهو رائد الفكر الجمالي، ويقول إن الناس والخيول والقيثارة جميلة، ولكن يوجد فوقها الجمال نفسه، فصارت هذه الآراء الجمالية بمثابة مقدمة لعلم الجمال.

أما جمالية (أفلاطون) فهي جمالية تصاعدية حيثُ يتدرج الجمال:

- من الجمال الشكلي، أي جمال الأشكال (الجمال الحسي).
- إلى الجمال الأخلاقي والعقلي، أي جمال الأفكار (جمال المعرفة).
- ثُمّ الجمال المطلق، أي الجمال الخالد الأبدي (الجمال المثالي) نظرية المثل.

أما (أرسطو) فقد بلغ ذروة الصعود بالفكر الإغريقي. والعلاقة بين جماليات أفلاطون وجماليات أرسطو هي علاقة بين فلسفتين مختلفتين، ولكنهما متكاملتان في آن واحد، ففلسفة أفلاطون هي عقلانية متوجة بالمثالية؛ بينما فلسفة أرسطو هي عقلانية محكومة بالواقعية.

ونجد عند (أفلوطين) فلسفة السمو وفلسفة الفيض والإشراق والانجذاب والفكر الصوفي، وأن جمال الكون ينشد عظمة الخالق، وأن جمال الخير أصبح ديانة.

- وهكذا ينقضي العقل الغربي وينكفئ بنهاية المرحلة الإغريقية وبعد الموروث الضخم الذي خلفه الإغريق، حتّى كانت الانطلاقة للفكر الأوروبي في إطار النهضة الأوروبية التي توافرت أسبابها في أواسط القرن الخامس عشر الميلادي، والاحتكاك الأوروبي بالإسلام عبر بوابتي صقلية وقرطبة.

ب ـ العصر الانتقادي الكانطي، وننتقل من العصر الاعتقادي اليوناني إلى العصر الانتقادي الكانطي بعد ظهور فلسفة كانط النقدية، هذا وقد أثرت فلسفات سابقة على فكر كانط النقدي، مثل: النسبية الديكارتية والفكرية الليبنتيزية والحسية الأنغلوساكسونية. ونجد أن كانط قد جمع هذه التعاليم المتبادلة لإسقاطات علم الجمال السيكولوجية ليعيد تركيبها ويمذهبها.

وقد كان هناك تناقض أساسي قبل كانط بين فكرتي ذوق ذاتي وذوق موضوعي، وكان الذوق يندرج إما إلى حدود اللذة أو إلى حدود الحكم، فكانت الخاصية الكانطية في ذلك الاكتشاف الذي يتجلى في النقد الثالث ـ والذي أخذنا به نحن ـ تكمن في نظرية جديدة في الذوق، فليس الذوق حكم في الشعور فحسب بل هو أيضاً شعور بالحكم.

الجدول رقم (١٧ ـ ١)
النقد الكانطي في تجزئته الثلاثية للنفس

ملكات النفس	ملكة المعرفة	المبادئ الأولية	مجالات تطبيقها
ملكة المعرفة	العقل	ارتباط العلة بالمعلول	الطبيعة
ملكة الرغبة	الذهن	الخير الأقصى	الحرية
ملكة الشعور	الحكم	الصور الغائية	الفن

وعليه قسمنا نحن في نظريتنا عن العقل الإبداعي الملكات النفسية إلى ثلاث ملكات لقوى عقلية ثلاثية، كما يتبين في الجدول رقم (١٧ ـ ٢)

الجدول رقم (١٧ ـ ٢)
تقسيم الملكات النفسية إلى ثلاث ملكات لقوى عقلية ثلاثية

ملكات النفس الثلاثية	القوى العقلية الثلاثية	المبادئ الأولية	مجالات تطبيقها
ملكة المعرفة	العقل الظاهري البارع	ارتباط العلة بالمعلول	الإيقاعات الظاهرية الحسية
ملكة الرغبة	العقل الباطني الواعي	الإرادة الخيريّة	الإيقاعات الباطنية الحدسية
ملكة الشعور	العقل الإبداعي المتأمل	الصور الغائية	الإيقاعات الجمالية التأملية

ومفهوم الغائية لا تتأتى من العقل العملي والذي سمّيناه العقل الباطني، ولا من العقل النظري الذي سمّيناه العقل الظاهري، بل من الحكم والشعور والذي سمّيناه العقل الإبداعي، والذي يرتفع إلى مستوى الانسجام الكلي للإجابة على التساؤلات الكانطية الثلاثة، والذي أجاب كانط عن سؤالين، ولم تكن إجابته كاملة عن السؤال الثالث، والذي استطعنا الإجابة على السؤال الكانطي الثالث.

الأسئلة الكانطية:

ـ ما الذي يمكن أن أعرفه؟ يجيب كانط من خلال العقل النظري.

ـ ما الذي يمكن أن أعمله؟ يجيب كانط من خلال العقل العملي.

ـ ما الذي يمكن أن آمله؟ يجيب كانط من خلال حكم الشعور.

ونجيب نحن عن التساؤل الثالث من خلال العقل الإبداعي.

وهكذا مهّد كانط لظهور المثالية الألمانية في علم الجمال، فأصبح الفن أداة مساعدة للكشف عن الحقيقة الروحية المطلقة، وهو ما مكننا من افتراض (العقل الإبداعي)، أي القوة الثالثة للعقل الإنساني، ذلك العقل الذي اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات ليعمر الأرض بالإبداع، وكانت محاولة لوضع نظرية جديدة في علم الجمال (العقل الإبداعي) تلبية لنداء الحاجة الجمالية لتنتهي الثنائية في الفلسفة(٢٢).

ج ـ **الاستاطيقا المعاصرة**، ويمكن تقسيم الاستاطيقا المعاصرة إلى ثلاث فترات متتالية:

ـ الفلسفة الجمالية الصرفة: (المثالية ـ الاجتماعية ـ الأخلاقية).

ـ الاستاطيقا التجريبية: (التجريبية ـ الفيزيولوجية ـ العلمية).

ـ الاستاطيقا المعاصرة: (النسبية ـ البنائية ـ التجريدية).

والفلسفة الجمالية الصرفة تنقسم إلى ثلاثة اتجاهات:

ـ الجمالية المثالية، يمثلها فيكتور كوزان ولامونيه.

ـ والجمالية الاجتماعية، يمثلها برودون وكارل ماركس.

ـ والجمالية الأخلاقية يمثلها جان ماري جوير وتولستوي وجون رسكن

أما الاستاطيقا التجريبية فلها ثلاثة محاور:

ـ الطرق العلمية عند تين، والاجتماعية عند دوركهايم.

ـ فلسفة الفن الفيزيولوجية عند غرانت ألين.

ـ ثُمّ فلسفة الفن العلمية عند تيودور فاغنر.

أما الاستاطيقا المعاصرة فلكل فيلسوف جمالي منظوره الجمالي، ولكل فنان اتجاهه الفني الخاص به ومفاهيمه الجمالية منها:

ـ النسبية الفضائية لتجاوز الموضوع والخروج للطبيعة والكون الفسيح، وهي المساحة الواسعة التي نطلق عليها المساحة الإبداعية للفنان المبدع، والمسافة الفكرية للمتلقي الإيجابي.

---

(٢٢) انظر: خير، **دور العقل في الإبداع الفني**.

الشكل رقم (١٧-٣)
العمل الفني ـ والوسيط

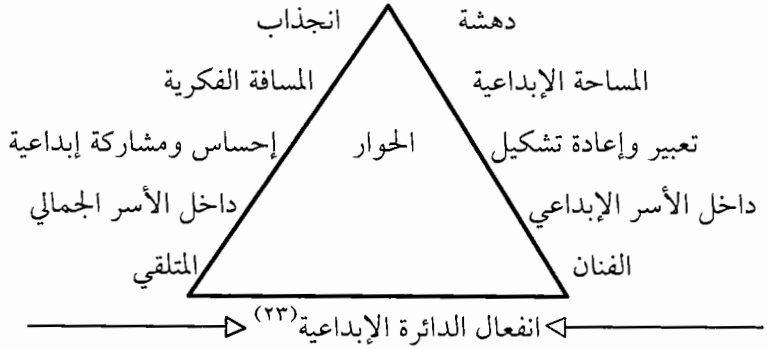

ـ والبنائية التكعيبية بالتأليف والتحليل والتشكيل المستمر للأشكال الفنية للتصميم الفني من خلال العقل الإبداعي.

ـ ثُمّ التجريدية في الانتقال من التجسيم إلى التجريد(٢٤)، وذلك لإظهار أصل الأشياء بعد تجريدها وإدراجها إلى أصولها وبتحويل المشاهد السلبي إلى متلقي إيجابي من خلال تقبل أو رفض المتلقي ليتصاعد الفن، وذلك بمشاركة المتلقي في إظهار الجمال من العملية الإبداعية.

● وهكذا ظهرت فنون وإبداعات مستجدة وجديدة وبتقنية جديدة، تضيف وتولد الأشكال، وبالتالي ظهور أفكار جديدة ولدت نظريات جديدة.

ليشهد هذا العصر ازدهاراً لدراسات جديدة في علم الجمال، ليقوم علم الجمال بمهامه الإبداعية في تطوير وبلورة الحياة الفكرية والفنية والاجتماعية والاقتصادية والحضارية، ما يعطي عبئاً كبيراً على عاتق علماء الجمال، لبناء علم الجمال مؤسس يستوعب الحضارة المعاصرة.

ويشهد هذا العصر الانتقال من المدنية الجمالية إلى المدنية الإنتاجية لتخطيط سياسات جمالية لتحقيق طموحات الإنسان، وتطلعاته المستقبلية في تكوين جمالية المستقبل بتربية الإنسان الأخلاقي المتجمل من خلال الترقب لاقتناص الومضات الجمالية والإشارات الإبداعية، وليكون الإنسان جديراً بتحمل مسؤولياته الجمالية في تعمير الأرض بالإبداع الرائع، وذلك عندما يكون خاشعاً نقياً ومبدعاً تقياً وحراً وفياً.

---

(٢٣) انظر: القاعدة النسبية الثلاثية للإبداع الفني.

(٢٤) لا نقصد بالتجريدية المدرسة أو الاتجاه التجريدي لكاندنسكي ومندريان، بل نقصد بالتجريدية في الفن الحديث والمعاصر في التجريد الفني لإظهار أصل الأشياء واستبعاد المظاهر المظهرية.

رابعاً: لعبة الفن لتدمير الفن الحديث والمعاصر

اللعبة الصهيونية بأذرعتها الطويلة في الماسونية[٢٥] ودورها في تدمير الفن والقيم الإنسانية لتدمير الإنسان، كما وضحنا في المحاور السابقة أهمية الفن ودوره الريادي في قيادة الحياة الإنسانية وتغييرها، حيثُ كان الإنسان وكان معه الفن يعلو ويهبط معه وبه كأداة حضارية (مادية ومعنوية).

ولأهمية دور الفن في الارتقاء بالإنسان كإنسان لتحقيق الإنسانية، استخدمت الصهيونية وأذرعتها الطويلة في الماسونية لتدمير الإنسان بتدمير إبداعاته وتدمير قيمه، وبانحراف الفن ينحرف الإنسان؛ فكانت لعبة الفن الحديث بتدمير الفن وتدمير الحضارة والتراث، بتدمير الإبداع الإنساني، وذلك بتحويل الفن كسلعة تجارية من خلال الفنان نفسه وإنتاجه الفني، وبتحويل الفن والإنتاج الفني إلى بورصة واستثمار واحتكار، بتحويل الفن من الإبداع إلى الابتداع في التعامل مع الإبداع كوسيلة استثمارية أو كقيمة للمضاربات التجارية والاقتصادية بلغة البنوك والتعاملات المالية، أو كأعمال دعائية للتلاعب بالطموحات الإنسانية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية، التي تحركها تلك الأيادي الخفية المريبة التي أحكمت سيطرتها على الأسواق الفنية المتحكمة في كُلّ أبعادها.

والفن ليس انعكاساً للواقع فقط، بل هو عامل تغيير للواقع يساهم في تبديل وتطوير هذا الواقع، فكان الأسلوب التجريدي هو الباب المفتوح للعبة الفن الحديث وتنفيذ هذه اللعبة لهدم الفن بما يسمى بالفن التجريدي الحديث ـ وقد شمل هذا التدمير كُلّ الفنون ـ المكانية والزمانية ـ بل لتدمير كُلّ القيم وبخاصة القيم الأخلاقية والقيم الدينيّة في محاولتهم بجعل الدين عدواً للفن، وهو يمثل جزءاً من التدمير الجمالي لتدمير الذوق الإنساني والإحساس الجمالي وبالتالي لتدمير الإنسان نفسه.

وهكذا فرض على الجمهور المسكين سوقية الفن المبتذل، إذا عرضت لوحات مكونة من علب الصفيح وصور عارية وقطع من بقايا الأطعمة وخضروات متعفنة، ودورات مياه بمحتوياتها، وتوّج هذا الابتذال المهين بتمثال مصنوع من البراز الآدمي المجفف، تحت عنوان تكوين!؟

لم تقبل الجماهير المتلقية هذا الابتذال، فاستطاعت الدعاية الصهيونية إسكات الأصوات المعارضة لهذا الابتذال على أن هذا الفن الحديث هو فن للخاصة لا يفهمها

---

(٢٥) زينب عبد العزيز، **لعبة الفن الحديث** (القاهرة: الزهراء للإعلام، ١٩٩٠).

إلا الخاصة، فأنساق الناس وراء الفن المبتذل على أنهم يفهمونه وهم في الحقيقة لا يفهمون شيئاً بدعوى أنّه فن للخاصة، وفن تجريدي لا يفهمه إلا من ترقى في فهمه، فانطلى هذا المفهوم الخاطئ على الفنانين والمتلقين.

وهذا الابتذال الفني كما هو واضح في الإنتاج الفني للمدارس التي تسمى بـ الفن التجريدي الحديث، قد شغلني وأنا طالب فنون بكلية الفنون، وكنت أتساءل لماذا هذا الابتذال وهذه الفوضى الفنية حتّى عثرت على كتاب **لعبة الفن الحديث** للدكتورة زينب عبد العزيز التي بينت في كتابها الرائع عن الألاعيب الماسونية لتدمير الإنسان بتدمير الفن وتدمير المعاني الجمالية السامية، فتأخذ سياحة فنية في صفحات هذا الكتاب الرائع[٢٦].

وعليه أصدرتُ كتاباً بعنوان **أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي** لإظهار أثر العقيدة الإسلامية في الفن، لإبراز الموقف الحقيقي للإسلام للفن والإبداع الجمالي[٢٧].

ولعبة الفن الحديث تخطيط صهيوني ماسوني محكم الحلقات في استعانتهم بالفن للتغيير الاجتماعي تحت بوتقة العولمة. وخيوط عنكبوتية لخنق الجمال وتدمير أجمل ما في الإنسان ـ الإحساس الجمالي ـ سواء كان للفنان أو للمتلقي، وهي الغواية بتحويل القبح جمالاً وجعل الشرّ خيراً، والباطل حقاً، وهي أسلحة إبليس نفسها بالتزيين والغواية، تستخدمها الماسونية بطريقة إبليس اللعين نفسها، وذلك بإيقاع الناس في وهم الفن الحديث التجريدي من خلال خيوط متشابكة ومتداخلة لتكبيل الفن والفنان، وقد انساق الناس وراء هذا الوهم الجمالي الذي سمّوه الفن الحديث والذي ظهر بعد الحرب العالمية الأولى، وكانت الفترة ما بين الحربين هي فترة حرب خفية أفظع من الحرب نفسها في القتل البطيء المتوالي للقيم الإنسانية، وبعد الحرب العالمية الثانية اجتاحت هذه الموجة مختلف المؤسسات الثقافية، فظهرت المدارس متوالية، فكانت مدرسة الباوهاوس (Bauhaus) في ألمانيا ١٩١٩ وشيكاغو عام ١٩٣٧، ومن ثُمّ تتابعت المذاهب بلا توقف وحركات فنية متلاحقة في روسيا وفرنسا وبريطانيا، ومذاهب فنية مثل التأثرية والحوشية والتكعيبية ثُمّ الدادية والسيريالية.

وظهر في الأفق فنانون أمثال بيكاسو وبراك وسلفادور وجوان ميرو وشاغال وباسان وسوتين وموديلياني ومعظمهم من اليهود، وقد توالت المدارس في حمى

---

(٢٦) انظر: المصدر نفسه.

(٢٧) انظر: مصطفى عبده خير، **أثر العقيدة في منهج الفن الإسلامي**، بإشراف حسن محمد الفاتح قريب الله وأحمد محمد شيرين (بيروت: دار الإشراق، ١٩٩٢).

الصراع وتصارعت من دون أن تدري لماذا تتصارع لتنفيذ مخطط خفي لا يرونه على حسب المفهوم المصطنع للفن الحديث والمعاصر.

وخصصت المدارس لخدمة الأهداف الماسونية الخفية[٢٨] لتدمير تاريخ البشرية بدعوى تطويره وتجديده، وهدم القيم الفنية الأصيلة وتحويل الفن إلى سلعة وتجارة ووسيلة انهيار لكُلّ قيم جمالية وأخلاقية، وتزعم هذه المؤامرة البشعة السوداء الصهيونية والأمريكية أولئك الذين بلا تاريخ، وإن كان لهم تاريخ فهو تاريخ أسود وليس لهم تراث لتشويه كُلّ تاريخ وكُلّ تراث وكُلّ قيم جمالية وأخلاقية.

وظهرت تيارات وتشعبات كثيرة منها (الكولاج ـ اللصق)، و(الفروتاج ـ الدعك)، و(الغراتاج ـ الكحت)، و(الاسيميلاج ـ التجميع).

استخدمت الماسونية الفنان في هذه اللعبة بتحويل الفن إلى بورصة وتجارة ببيع وشراء اللوحات بأسعار خيالية ليتم البيع المتوالي لأرقام فلكية، وإنشاء متاحف للفن الحديث ومعارض وهمية، من خلال إعلام كاذب ودعاية مضللة وإعلانات وهمية ونقد مصطنع مدفوع الأجر لمقالات مضللة، وإخفاء للأهداف الحقيقية لهذا الصراع المفتعل.

فتبدلت القيم الفنية لتصبح قيم استثمارية وتحولت اللوحات إلى سندات تجارية ومضاربات بنكية تتواكب مع ارتفاع الأسعار.

وأصبح هذا الفن المبتذل هو المقياس المطلق في كُلّ المتاحف وقاعات العرض، وهي محاولة تخريبية وتفريغ للفن من محتواه الجمالي والقيمي، لتدمير الحضارة الإنسانية وإنسانية الإنسان لتسهل السيطرة عليه، وبالتالي السيطرة المزعومة على العالم وامتلاكه ـ وهو الهدف الصهيوني ـ الذي لن يتحقق بإذن الله تعالى.

وأقول إن الصهيونية بهذا العمل القبيح تحفر قبرها بيدها، وهي الآن في علوها الثاني تنهار بفسوقها وفجورها وجبروتها وظلمها، تماماً مثل الحضارات التي سادت ثُمّ بادت والتاريخ القديم والحديث خير شاهد على ذلك.

كُلّ الحضارات تسير على المنحنى السباعي، تبدأ بالإقلاع والنهوض والانطلاقة، ثُمّ تتألق في مرحلتها الرابعة من الإيقاع السباعي، لتنهار بعد فسوقها المتألق في الانحدار والانهيار، ثُمّ السقوط إلى القاع.

وكُلّ الحضارات تسير على هذا المنحنى إلا الحضارة الإسلامية التي لن تسقط إلى

---

(٢٨) الماسونية هي القوى الخفية التي تتحكم في العالم، وهي مؤسسة صهيونية في محاولتها للاستيلاء على العالم بطرق غير شرعية ومخفية.

القاع، لأن الحضارة الإسلامية من الإسلام والإسلام من القرآن والقرآن محفوظ عند الله، إلا أن الإسلام اليوم أو بالأحرى المسلمين في استنقاع[٢٩].

ونجد في القرآن ما يؤكّد قولنا للحضارات التي سادت ثُمّ بادت في قوله تعالى: ﴿**ألم ترى كيف فعل ربك بعاد. إرم ذات العماد. التي لم يخلق مثلها في البلاد. وثمود الذين جابوا الصخر بالواد. وفرعون ذي الأوتاد. الذين طغوا في البلاد. فأكثروا فيها الفساد. فصبّ عليهم ربك سوط عذاب. إن ربك لبالمرصاد**﴾[٣٠].

وعليه يجب على الفنانين ونقاد الفن وعلماء الجمال مراجعة أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم من الفن الحديث بعد هذا الحديث عن لعبة الفن الحديث لتدمير الفن وتدمير القيم الإنسانية الجمالية والأخلاقية والاعتقادية.

ولهذا قمنا بإعلان عن مدرسة جديدة في الفن التشكيلي لمواجهة هذه الفنون الهوجاء، وهذا الابتذال الجمالي لإنشاء مدرسة تحت مسمى (المدرسة الإيقاعية للبعد الرابع الحدس العياني «للمرئي والمنظور»)، وأفردنا لهذه المدرسة المحور الخامس.

الفن المرئي بالبصر والحس، أما المنظور بالبصيرة والحدس الباطني لأن الجمال ليس في الرؤية الظاهرية فقط، بل للباطن أيضاً جماله الباطن وهو الجمال الأصيل الذي ينبئ عنه ظاهره فلا بُدَّ من ملازمة الظاهر للباطن، والظاهر والباطن هو تعبير قرآني وهو أشمل من الشكل والمضمون، فالظاهر كُلّ ما هو ظاهر من مشموم ومتذوق ومرئي ومسموع وملموس، أما الباطن فيشمل ما ليس بظاهر ويشمل النية والغاية، فالشكل ما يظهر فقط والمضمون ما يحويه فقط.

الشكل رقم (١٧-٤أ)

التألــق الحضــاري

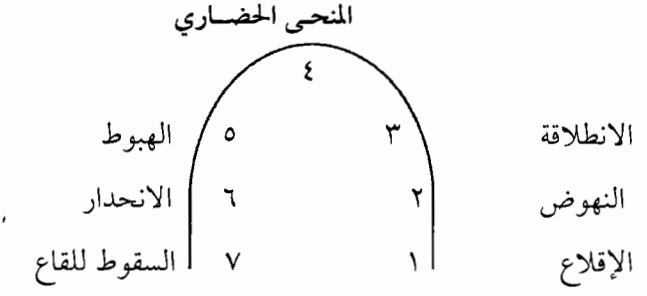

(٢٩) انظر: خير، «الإيقاع السباعي».

(٣٠) **القرآن الكريم**، «سورة الفجر،» الآيات ٦ ـ ١٤.

الشكل رقم (١٧-٤ب)

المنحنى الحضاري

التألق والإبداع الحضاري

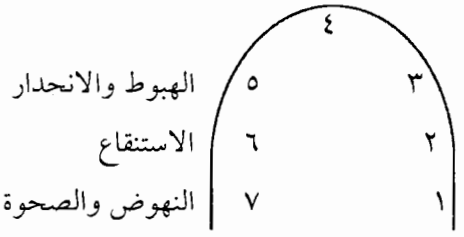

المنحى الحضاري الإسلامي

خامساً: المدرسة الإيقاعية، إيقاعات الموسيقى المرئية، البعد الرابع (الحركة الداخلية الذاتية)، محاولة لحل مشكلة الزمن في الفنون التشكيلية (الفنون المكانية)

١ ـ أسس التأسيس ومحاور البناء، بدأت إرهاصات هذه المدرسة عام ١٩٧٥م وتبلورت مفاهيمها عام ١٩٨٠م نظرياً، ومحاولات تطبيقية لتطبيق مفاهيمها حتّى عام ١٩٩٠م، لتأخذ طابعها الخاص كمدرسة تشكيلية لها أسسها وقواعدها وتطبيقاتها العملية والنظريات عام ٢٠٠٠م وإصدار بيانات متتالية[٣١].

البيان الأول عام ٢٠٠١م ـ البيان الثاني عام ٢٠٠٢م

البيان الثالث عام ٢٠٠٣م ـ البيان الرابع عام ٢٠٠٤م

● تزامن مع إرساء قواعد هذه المدرسة إصدار كتب منهجية ودراسية أهمها كتب أربعة[٣٢].

ـ **الدين والإبداع** «لإبراز موقف الإسلام من الفن».

ـ **مدخل لفلسفة الجمال** «محاور نقدية وتأصيلية».

---

(٣١) انظر: مصطفى عبده خير، **المدرسة الإيقاعية للحدس العياني** (الخرطوم: مطبعة جامعة النيلين، [د. ت.]).

(٣٢) انظر: مصطفى عبده خير: **الدين والإبداع** (القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٩٩٩)؛ **مدخل إلى فلسفة الجمال: محاور نقدية وتحليلية وتأصيلية**؛ **دور العقل في الإبداع الفني**، **ومدخل إلى فلسفة الأخلاق**.

ـ **مدخل لفلسفة الأخلاق** «مقدمة لأخلاق إبداعية وعملية».

ـ **دور العقل في الإبداع الفني** «بوادر لنظرية جديدة في علم الجمال».

● محاولة لوضع نظرية جديدة في علم الجمال «العقل الإبداعي» الذي اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات.

● بمصاحبة معارض تشكيلية وندوات ومحاضرات وسيمينارات وبحوث علمية نشرت في مجلات محكمة وجلسات أسبوعية منذُ عام ١٩٧٥م.

● لسد ثغور الفن والفلسفة وعلم الجمال:

ـ منذُ عام ١٩٧٥م في تطبيق الفن من خلال التصور الإسلامي للوجود.

ـ منذُ عام ١٩٨٥م تحليل ونقد الفلسفة بالفلسفة من خلال التصور الإسلامي للمعرفة.

ـ منذُ عام ١٩٩٥م تقييم الجمال من خلال التصور الإسلامي للقيم، قيم الحقّ والخير والجمال.

ـ منذُ عام ٢٠٠٠م توجيه الأخلاق من خلال السلوك النبوي القويم.

ومخطط لبناء حضارة جمالية من خلال التصور الإسلامي، الضرورات الحضارية وأسس البناء الحضاري ومحاورها وخطوات التنفيذ عام ١٩٩٣م[٣٣].

ب ـ الإيقاعات السباعية والمرحلة الرابعة المتألقة: كُلّ الكائنات المتسقة لها حركاتها المحسوبة والمعدودة والمحدودة، وهي متسقة ومتناغمة في حركة سباعية من خلال أحوال ثلاثية: **أولها** قاعدية وجزئية متصاعدة؛ **وثانيها** تابعة للأولى ونتيجة متعالية أو متناقصة، وبينهما مرحلة رابعة متألقة في وسط متعالي وهو الميزان والوسط الاعتدالي المتألق.

بحث كثير من العلماء عن العدد (٧) ونجدها في كثير من أصول نظريات قديمة وحديثة، كما إنَّ هناك أشياء كثيرة هي سبعة في العدد مثل السموات السبع والأراضين السبع والأيام السبع وهكذا.

والجدير هنا هو أنَّ هذه المراحل السباعية هي (إيقاعات سباعية منتظمة ومتسقة متعالية أو متنازلة لها بها وقع إيقاعي نجد ذلك في الكون (المادة) والإنسان (العلم) والوحي (الروح) في اتساق متتالي ومتوالي ومتعالي متناغم.

---

(٣٣) انظر: مصطفى عبده خير، «بناء حضارة جمالية،» (مخطط مشروع ـ الخرطوم).

الشكل رقم (١٧-٥)
التألـق الحضـاري

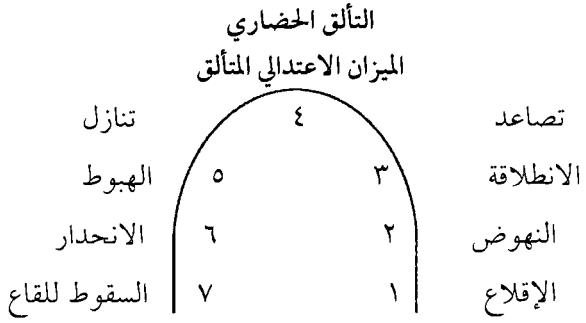

وكذلك في الإنسان والنبات والحيوان (الأحياء) وفي كُلّ الأشياء الأخرى. من خلال سلم موسيقي متناغم[٣٤]:

الشكل رقم (١٧-٦)
السلم الموسيقي المتناغم

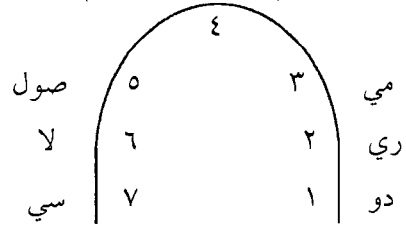

ج ـ البعد الرابع في الفنون المكانية: الحركة الداخلية للموسيقى المرئية. الفنون المكانية، العمارة والفنون التشكيلية ـ تأخذ حيزاً في المكان، لها موسيقاها اللاصوتية، موسيقى مرئية.

الفنون الزمانية، الشعر والموسيقى ـ تأخذ وقتاً في الزمان، لها موسيقاها الصوتية ـ موسيقى مسموعة.

الفنون المكانية، أي المرئية (Visual Art) بحكم موادها الجامدة ساكنة، حاول الفنان إحداث حركة لحل مشكلة الزمن في الفنون التشكيلية والذي يصور الأشكال في بعدين أو ثلاثة.

---

(٣٤) انظر: خير، «الإيقاع السباعي،» ج ١ ـ ٣.

كُلّ الفنون تهفو إلى حالة موسيقية، فلا بُدَّ من إحداث موسيقى بصرية مرئية بالعين. وذلك بإحداث حركة داخلية للأشكال الساكنة (Movement in Static) بإدخال عنصر الزمان في صميم البناء الفني، فيستحيل إلى موضوع استاطيقي يتمتع بكيفية زمانية وذلك بتحرر الفن التشكيل من المكانية والسكونية بحركته الداخلية. لتراها العين بالعين الداخلية وهي البصيرة ترى وتسمع وتحس، بالعين الداخلية «العقل الإبداعي»، ليقوم العقل بالأنشطة الإبداعية. ذلك العقل الإبداعي الذي اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات ليبدع إبداعاته الرائعة، وقد حاول الفنان إحداث هذه الحركة عبر عصوره المتتالية القديمة والحديثة والمعاصرة.

وهذه الحركة الداخلية اللاصوتية ما نعنيه بالموسيقى المرئية والحركة البصرية لحل مشكلة الزمن في الفنون المكانية وذلك من خلال:

١ ـ تبادلية الأضواء والظلال «العمارة».

٢ ـ تفجر الألوان الداخلية «التصوير».

٣ ـ اتساق الكتلة والفراغ «النحت».

٤ ـ انسياب الخطوط المنسابة «الزخرفة».

وهذه الموسيقى دائمة العزف، لأن الموسيقى الصوتية لا تسمع إلا عندما يعزفها عازف أو يستنطقها ناطق، أما الموسيقى اللاصوتية أي المرئية، فهي كامنة في العمل الفني نفسه، وهي دائمة العزف ما بقيت، وهي باقية ببقاء العمل الفني نفسه وليس بإبقاء الفنان لها.

د ـ الاستخدام البشع للفن، كان الإنسان وكان معه الدين، ولتلازم الفن بالإنسان والدين بالإنسان كان لا بُدَّ لهما أن يتلازما وقد تلازما. حيثُ أخذ الدين قوته بالفن، وأخذ الفن مواضيعه من الدين على حسب قوة الاعتقاد وضعفه في النفس البشرية.

وقد خدم الفن الانحراف العقائدي وأصبح الفن أداة من أدوات الوثنية والانحرافات العقائدية وما يتبعه من انحراف سلوكي، واستخدم الفن استخداماً بشعاً في محاولة الكهنة للسيطرة على الشعب، السيطرة الروحية والهيمنة الاقتصادية.

وجاء الإسلام وحرر الفن من القيد الوثني والأسر الكهنوتي في القرن السابع الميلادي عند فتح مكة وتحطيم الأصنام المنحوتة وغير المنحوتة، وإخراج الفن من دور العبادة إلى الطبيعة الرحبة والكون الفسيح. وحوّل الفن من خدمة الآلهة إلى خدمة التدين في الإنسان، وهكذا تحرر الفن والفنان.

وكان الفن أداة من أدوات الانحراف في العصور الحديثة والمعاصرة لاستخدام الفن في إلهاء الشعوب عن الطريق المستقيم، وهو استخدام بشع للفن كما كان في الجاهلية القديمة المشرِكة.

والجاهلية الحديثة منكرة وأعتى وأصعب، فعلى الفنانين أن يواجهوا هذه الجاهلية الحديثة بأسلحتها.

وتحويل الفن من أداة انحرافية إلى طريق للاستقامة والتقرب إلى الله بالعبادة الخاشعة النقية التقية المبدعة. لتحقيق حقيقة الإنسان ذلك الإنسان الكائن الجمالي من خلال إبداعاته الرائعة والترقي في الدرجات المتعالية والاتصال بالملأ الأعلى.

وتربية الإنسان الصالح المبدع التقي النقي الوفي في تحقيق قضية الاستخلاف في الأرض وتعمير الأرض بالإبداع والعمل الصالح لوراثة الجنة، اتباع في العبادات، وإبداع في المعاملات وليس العكس.

هـ ـ لغة الفن التشكيلي الجديدة، على الفنانين أن يتنكبوا طريق الجمال بإشاعة الجمال وأن يكونوا قادة للصعود إلى الكمال، وأن يكشفوا أسرار الجمال الدفينة وإبرازها للناس لتستيقظ نفوسهم، فيرون الجمال وينفعلون بالجمال ويعملون بمقتضى الجمال المتجسد في كُلّ ذرة وفي كُلّ نغمة في اتصال الإنسان بالكون والحياة واتساقه مع الأنشودة العلوية الخالدة.

● وقد رفض الفنان المعاصر كُلّ الأساليب القديمة وخرج عن الفنون الأكاديمية الجامدة والأساليب الهوجاء المنحرفة. وعليه احتاج الفنان للغة فنية جديدة وممارسة جديدة ووسائل تعبيرية جديدة لفنون تستوعب الزمن في حركته الممتدة.

● وهذه دعوة للفنانين لإحداث الحركة المتتابعة في الأشكال الفنية بعقلية فنية متجددة بالخروج من الهوس الفني والبوهيمية التي انغمس فيها الفنان.

على الفنان أن يتطلع نحو المطلق والأبدية والدخول في كوامن الأشياء لكشف خصيصة الأشياء الكامنة في الكائنة، عندما يتسامى الفنان وعندما تنسجم أوتاره الداخلية مع الأنغام العلوية الخالدة لتحقيق الروعة الجمالية.

والحق تصديق للجمال ـ والفلسفة بحث عن الجمال

والخير نعت للجمال ـ والشعر وصف للجمال

والتشكيل إبراز للجمال ـ والموسيقى إيقاع للجمال

والفكر تعريف للجمال ـ والمنطق تجويد للجمال

والعقيدة تحقيق للجمال ـ والتصوف معرفة الجمال

والإلهام محبة للجمال ـ والنور حقيقة الجمال

والله مصدر الجمال والجلال والكمال.

و ـ لعبة الفن الحديث، هذا البيان يتلخص في بيان لعبة الفن الحديث التي تمارسها الصهيونية العالمية بأذرعتها الطويلة في الماسونية، وهي القوة الخفية التي تحكم العالم للانحدار بالإنسان بإفساده أخلاقياً حتّى تسهل قيادته طوعاً أو كرهاً.

وهذه اللعبة أداة تدميرية للحضارة والذات الإنسانية، وتحريكها لصالح الصهيونية بطريقة مباشرة وغير مباشرة ومتعمدة في تحويل الفن إلى سلعة تجارية، بدءاً بالفنان المنهزم ومروراً بجامعي التحف وتجار البورصة الفنية، وكشف الأيدي الخفية التي تحرك اللعبة القذرة باستخدام جميع أنواع الفنون المكانية والزمانية بإعلام موّجه باستخدام تكنولوجيا في إفساد الشعوب والسيطرة على العقول، وتخفيها بالحداثة الفلسفية والفنون الحديثة والمعاصرة الهوجاء العرجاء الخاوية في إطار العولمة الحديثة.

● عليه يجب كشف هذه اللعبة القذرة التي تنحدر بالإنسان وتفقده قيمه التي ناضل من أجلها. كما إنهم يستخدمون الثورة البيولوجية بالاستنساخ الحيوي لتغيير القيم الإنسانية وإهدار كرامة الإنسان وتدنيس قدسيته.

● عليه يجب الأخذ بالمفاهيم الحديثة والمناهج العلمية والثورة التكنولوجية والبيولوجية، ولكن من خلال مرجعية أصولية وتراثية وحضارية لغايات إبداعية، لتحقيق إنسانية الإنسان في تعمير الأرض بتحقيق حقّ الاستخلاف في الأرض في تربية الإنسان الصالح المبدع، الخاشع النقي، والمبدع التقي، والحرّ الوفي.

ز ـ الحدس العياني المرئي والمنظور، ما نعنيه بالحدس العياني هو الفن المرئي بالبصر، والحس والمنظور بالبصيرة. والحدس لكُلّ شيء ظاهر وباطن ـ ظاهر مرئي ومحسوس ومسموع ومشموم ومتذوق وملموس وهي من خلال الحواس الخمس، وهي منافذ العقل وهذه الحواس خادعة، إذ نرى البعيد صغيراً وهو ليس بصغير، بل يبدو كذلك من خلال خداع البصر، وخداع الحواس الأخرى، فمن أين نجد الحقيقة؟ نجد الحقيقة من العقل نفسه ـ العقل الإبداعي ـ الذي اختص الله به الإنسان دون سائر الكائنات. في استخلافه لتعمير الأرض بالإبداع ليسير مع الزمان المتغير والمكان المتجدد.

والحدس هو الحدس الداخلي الباطني (الإبداع) وما يسمونه بالحاسة السادسة

وما نعنيه بالحدس العياني ذلك المرئي بالبصر والحس، والمنظور بالبصيرة والحدس. والحدس العياني هو المرئي بالبصر والبصيرة، والعقل والوجدان. خاطب كليم الله موسى(عليه السلام) «أرني أنظر إليك»، فقد تأدب مع ربه ولم يقل كما قالت اليهود «نريد أن نرى الله جهرةً». فقال تعالى لموسى ﴿**لن تراني ولكن انظر إلى الجبل**﴾[٣٥]، فالرؤية مستحيلة لله عزّ وجلّ جلاله، أما النظر بالوجدان فهو ممكن في قوله ﴿**وجوهٌ يومئذ ناضرة. إلى ربّها ناظرة**﴾[٣٦]، فالنظر بالوجه والوجدان والبصيرة.

يكون ذلك في محاولتنا حلّ مشكلة الزمن في الفنون المكانية، بالموسيقى البصرية المرئية، أي الحركة الداخلية للأشياء بتفجر الألوان وتبادلية الظلال والأضواء وتناسق الكتلة مع الفراغ وانسياب الخطوط والزخارف المتداخلة.

وذلك باستخدام العقل والوجدان، والشعور باستخدام الدليل العقلي وهو مشرب بالمعنى الجمالي، وانسياب البرهان الجمالي وهو يحمل في طياته لغة العقل، قناعة عقلية ووجدانية، أي برهان جمالي بلغة العقل، وعقل مشرب بالمعنى الجمالي لرؤية شمولية للفن ومتكاملة للجمال والعمل بمقتضى الجمال.

خاتمة وتوصيات

يسير الكون على نظام منضبط متسق جميل، بنظام مسير حتمي وللإنسان حرية الاختيار، وهو مخير داخل تسيير عام، والإنسان في مكان داخل زمان لا يخرج عن الكون وهو جزء منه. ويبرز السؤال: ما الذي يربط بين الحرية الإنسانية والحتمية الكونية؟ والجواب: الذي يربط بينهما هو الضبط الجمالي، أي الدائرة الجمالية التي تحوي الدوائر الأخرى داخلها، فالجمال عنصر أساسي في البناء الكوني والحركة الكونية وحركة الكائنات وحركة الإنسان، والإنسان نفسه كائن جمالي داخل الجمالية.

والجمال أصل في البناء الكوني، وفي كُلّ الكائنات الكائنة والخلق الإنساني، والجمال موجود في الكون وكامن في الأشياء ومفطور في الإنسان، وقد خلقت كُلّ الأشياء على جمال، وأحسن الخالق كُلّ شيء خلقه، والفن إبداع للجمال، وقد خلق الإنسان كائناً جمالياً ليكون مبدعاً ليعمر الأرض بإبداعاته الرائعة في الإبداع الفني والجمالي والعلمي والعملي والفكري والأدبي.

---

(٣٥) **القرآن الكريم**، «سورة الأعراف،» الآية ١٤٣.

(٣٦) المصدر نفسه، «سورة القيامة،» الآيتان ٢٢ ـ ٢٣.

والفن رسالة إنسانية ووسيلة بشرية بارعة للإفصاح عن حالة الوعي الإنساني، بتقديم الحلّ الرائع للإيقاعات الجمالية لتحقيق الروعة الإبداعية.

والفن أداة من أدوات الإبداع لإظهار الجمال لاستيقاظ النفوس لترى الجمال الذي هو فينا ومن حولنا في مقاومة الفن للقبح، ومقاومة إمارات الهبوط والتردي والانحدار والانكسار، فالفن احتجاج دائم ولكن نحو التنوير.

● ومع أن الفن صانع الجمال، إلا أنّه استخدم استخداماً بشعاً في الحضارات القديمة حيثُ تلازم الفن مع الإنسان، كما تلازم الدين بالإنسان ولتلازمهما معاً بالإنسان كان لا بُدَّ لهما أن يتلازما وقد تلازما، يأخذ الفن مواضيعه من الدين، ويأخذ الدين قوته بالفن على حسب قوة الاعتقاد وضعفه في النفس البشرية، وقد استخدمت العقائد المنحرفة هذه العلاقة لتأكيد انحرافاتها العقائدية والسلوكية.

وقد كان الفن أداة من أدوات الانحرافات العقائدية، وما تبتعها من انحرافات سلوكية، فاستخدم الفن استخداماً بشعاً في محاولة الكهنة السيطرة على الشعوب من خلال القيد الوثني والأسر الكهنوتي للفنون المكانية والزمانية.

وكذلك استخدم الفن في العصور الوسطى لخدمة العقائد من خلال القيود العقائدية، وكذلك استخدم الفن في العصور الحديثة والمعاصرة أداة لإلهاء الشعوب عن دورها الحضاري، وهي لعبة الفن الحديث من خلال الدور التي تقوم به الصهيونية العالمية وأذرعتها الطويلة في الماسونية لتدمير الفن وتدمير كُلّ جميل، والدعوة إلى القبح والبشاعة والإفساد الجمالي والأخلاقي والاقتصادي، لتدمير الإنسان نفسه لتسهل قيادته.

وللفن دوره الريادي في قيادة الشعوب والترقي بها، وبالإنسان ليتعالى عن الدنايا والخطايا والرزايا، ليتصاعد بالجمال نحو الكمال من خلال الجلال بترقي النفوس في مراتبها السباعية: النفس الأمارة، واللوامة، والملهمة المبدعة، ثُمّ الآمنة المطمئنة، فالنقية التقية والراضية المرضية، ثُمّ الصديقية.

● لا بُدَّ من بروز اتجاهات فنية وفلسفات جمالية لوضع الفن في مساره الطبيعي والأصيل لتحقيق إنسانية الإنسان وتربية الإنسان التربية الجمالية المثلى عبر الفن.

● ولا بُدَّ من الأخذ بيد ذلك الإنسان المنزلق الذي نسي نفسه في خضم الثورة التكنولوجية والبيولوجية التي صنعها بنفسه، حتّى لا يسقط إلى القاع ليخرج من

الوهدة التي قبع فيها داخل جحر الضب، ويعمل الإنسان لتعمير الأرض وليس لتدميرها.

● ولهذا نادينا بمدرسة جديدة لتحقيق الإيقاعات الجمالية من خلال (الحدس العياني) للمرئي والمنظور؛ للبصر والبصيرة؛ والحس والحدس؛ للظاهر والباطن؛ ليستبصر من خلال (العقل الإبداعي) الذي اختص الله به الإنسان من دون سائر الكائنات ليبدع إبداعاته (البراعة والواعية والرائعة).

وذلك ليتناسق الإنسان مع الإيقاعات الكونية الثلاثة (الزمان والمكان والإنسان)، وبالقراءات الثلاث: (الوحي والكون والنفس)، من خلال المعابر الثلاثية: الحق والخير والجمال، بالاعتقاد والاختيار والإبداع:

١ ـ قراءة (الوحي) كتاب الله المقروء في اتساق مع الإيقاعات (الزمانية) المتتالية بعقل يستقرئ (الحقّ)، وباعتقاد خاشع لتقوى جلالية.

٢ ـ وقراءة (الكون) كتاب الله المنظور في اتساق مع الإيقاعات (المكانية) المتوالية بإرادة تستقطب (الخير)، واختيار حُر ملتزم بحدود الحرية لاستقامة خلقية.

٣ ـ وقراءة (النفس) كتاب الله المحفوظ في الإنسان مع الإيقاعات (الإنسانية) المتعالية بحس يستقطر (الجمال) وإبداع رائع لروعة إبداعية.

● ضرورة الفن ضرورة حضارية، لأن الفن أصدق أنباء التاريخ، فكم من حقائق تاريخية خفية انزوت في ظلمات التاريخ، وكان الفن هو الكاشف عن تلك الحقائق لأن الفن هو تعبير الشعوب عن نفسها بنفسها ولنفسها.

● والفن يقف حائلاً ضدّ إمارات الهبوط والانحلال والسقوط ليرتفع بالقبح درجات جمالية متعالية، فالقبح درجة من درجات الجمال متدنية لإظهار درجات الجمال.

● كما أوردنا في هذه الرسالة ضرورة الفن والجمال في البناء الحضاري، نجد تلك العثرات التي تعترض المسيرة الجمالية، ومع عنفوانها وجبروتها في استخداماتها البشعة للفن والجمال، إلا أن هذه المحاولات تفشل أمام المدّ الحضاري ومقاومة الفن للقبح وكُلّ إمارات الهبوط المادي والمعنوي، ليقف الفن بجمالياته شامخاً أمام البشاعة، وليقف منتصراً مع الإنسان وبالإنسان لتحقيق إنسانية الإنسان، لبناء حضارة إنسانية بأخلاق متجملة وجمال متألق وإنسان متسامٍ، فلا قيود على الفن.

● إذاً للفن دوره الحاسم في مقاومته للقبح والهبوط والسقوط، لتستيقظ النفوس البشرية لترى الجمال ولتعمل بمقتضى الجمال لبناء الحضارة الإنسانية في تحقيق إنسانية الإنسان، عندما يكون خاشعاً نقياً ومبدعاً تقياً وحُراً وفياً.

المراجع

إبراهيم، زكريا. **مشكلة الفن**. القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٦٧.

إسماعيل، عز الدين. **الفن والإنسان**. بيروت: دار القلم، [١٩٧٤].

زهدي، بشير. **علم الجمال والنقد**. دمشق: مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٨.

سانتيانا، جورج. **الإحساس بالجمال: تخطيط النظرية في علم الجمال**. ترجمة مصطفى بدوي؛ مراجعة زكي نجيب محمود. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، [د. ت.].

فيشر، إرنست. **ضرورة الفن**. ترجمة ميشال عاصي. بيروت: دار الحقيقة، ١٩٦٥.

كاسيرر، إرنست. **مدخل إلى فلسفة الحضارة الانسانية أو مقال في الإنسان**. ترجمة إحسان عباس؛ مراجعة محمد يوسف نجم. بيروت: دار الأندلس، ١٩٦١.

مونتاغيو، إشلي. **البدائية**. الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٨٢. (عالم المعرفة؛ ٥٣)